مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الهجوم الأوكراني على كورسك الروسية:

هل يغير قواعد الحرب في أوكرانيا؟

د. عبد الرزاق غراف

باحث أول

مركز الخليج للأبحاث

الأول من نوعه منذ الغزو النازي للأراضي السوفياتية خلال الحرب العالمية الثانية. ذلك ما وُصف به الهجوم الأوكراني المستمر منذ أيام على إقليم كورسيك الواقع داخل أراضي الإتحاد الروسي في تطور خطير للحرب الدائر رحاها منذ سنتين ونصف، ما ترك جملة من التساؤلات حول دوافع الهجوم وسيناريوهات تطور الحرب في ظل هذا التغير الجذري في قواعد وجغرافيا الاشتباك وطبيعة الرد الروسي المنتظر

الهجوم الأوكراني المباغت وغير المتوقع شكّل «مفاجأة استراتيجية» كونه تجاوز خطير لأحد أهم الخطوط الحمراء التي رسمها الروس للحرب، فضلا أن الأمر متعلق بالتعدي المباشر على دولة نووية كبرى هي روسيا ما سيزيد حتما من المخاطر المرتبطة بهذا الاستفزاز وما ينجم عنه من رد فعل روسي محتمل، خاصة وأن الأمر متعلق باختراق أكثر من ٢١ ألف جندي اوكراني لعمق ٤٠ كلم داخل الأراضي الروسية وسيطرتهم على حوالي ١١٠٠ كلم مربع حسب الرواية الأوكرانية، ما يعد ضربة لعقيدة نظام فلاديمير بوتين منذ سنة ١٩٩٩ والتي كان أحد أهم ركائزها «إعادة الهيبة»

التطورات الراهنة جاءت بالتزامن مع تصاعد الخطاب النووي بين روسيا والغرب في الأسابيع الأخيرة. وذلك بعد أن هدّد الرئيس الروسي بتغيير خارطة نشر الصواريخ الروسية البعيدة المدى التي قد تحمل رؤوسا نووية لتشمل مناطق ومواقع أكثر قابلية وجاهزية لقصف دول غربية، تصاعد الخطاب الروسي جاء كرد فعل على توافق أمريكي ألماني سابق حول إمكانية نشر الولايات المتحدة لصواريخ في ألمانيا بحلول سنة ٢٠٢٦ في إطار المسؤولية الأمريكية اتجاه حماية أمن أوروبا والدفاع عنها انطلاقا من التزامها الراسخ اتجاه أعضاء حلف الناتو، فهل سيعجّل الهجوم الأوكراني المباشر على أراضي روسية من سيناريو المواجهة النووية التي كان يُرى إليها أنها محض خيال سابقا؟

ما يزيد من تعقيد المشهد هو التقارير الصادرة عن جهات روسية والتي تشير إلى استخدام أوكرانيا للأسلحة الغربية خلال هجومها على كورسيك، وهو ما يعد إن ثبت صحة هذه التقارير تعديا غربيا شبه مباشر على الأراضي الروسية الأمر الذي لطالما حذرت روسيا منه كونه سيعطيها الحق في رد الفعل داخل حدود الناتو، تطور لو حصل سيكون بمثابة الانفلات الذي لا يعلم أحد كيف سينتهي، بل وقد يفتح الباب أمام توسع الحرب الى جغرافيا خارج الوضع الراهن، في الغالب ستكون أوروبا مسرحا لها

إعلان بيلا روسيا حليفة روسيا الاستنفار عند حدودها مع أوكرانيا عبر حشد ثلث جيشها هناك، يعد رسالة أخرى في اتجاه إمكانية توسع الحرب عبر فتح جبهة شمالية ستكون تكلفتها باهظة على كل الأطراف خاص مع إمكانية تدخل بولندا العضو

في الناتو في الحرب إلى جانب أوكرانيا بحكم الجوار الجغرافي مع أطراف الصراع، ورغم أنه سيناريو غير مرغوب لدى كل الأطراف إلا أن الهجوم الأوكراني المباشر على أراضي روسية الذي لا يمكن أن يكون بدون ضوء أخضر غربي أو أمريكي على الأقل لا يمكن قراءته إلا من منطلق وجود رغبة أمريكية في الدفع بالصراع نحو «حافة الهاوية» لتحقيق المزيد من المكاسب

التأني الذي أبان عليه رد الفعل الروسي الراهن اتجاه تطورات الأحداث، ورغم أن البعض يضعه في خانة عدم الاكتراث انطلاقا من أن الروس يرون في الهجوم الأكراني بمثابة الطعم الذي يهدف إلى استدراج القوات الروسية التي حققت تقدمات مهمة في الأشهر الماضية في شرق أوكرانيا، فضلا على أن البعض يضعه ضمن محاولات أوكرانيا والغرب لتحصيل أوراق جديدة ستقوي حتما موقفهم التفاوضي في أي تسوية مستقبلية، إلا أن البناء على هذه المعطيات من أجل استبعاد سيناريو التصعيد

> **الهجوم الأوكراني المباغت شكّل «مفاجأة استراتيجية» كونه تجاوز خطير لأحد أهم الخطوط الحمراء التي رسمها الروس للحرب، فضلا أن الأمر متعلق بالتعدي المباشر على دولة نووية كبرى هي روسيا ما سيزيد حتما من المخاطر المرتبطة بهذا الاستفزاز**

بما فيه التصعيد النووي هو أمر فيه الكثير من المبالغة، وذلك بالنظر لرمزية الهجوم الذي كسر الكبرياء الروسي كثاني أكبر قوة عسكرية في العالم خاصة وأن هذه الرمزية تعد أحد أهم دعائم شرعية النظام الروسي داخليا وهيبته خارجيا.

النجاح العسكري الأوكراني في التوغل في هذه المساحة الشاسعة داخل الأراضي الروسية وبهذا الحجم من العدد والعدة هو اختراق ضخم ومباشر للأمن القومي الروسي يعكس في أحد جوانبه حجم القصور في التخطيط والأداء الاستراتيجي الروسي انطلاقا من توافقات روسية غربية مفادها أن استخدام أوكرانيا لأسلحة غربية للهجوم على أراضي روسية يعد بمثابة مقدمة لحرب نووية، الأمر الذي أعطى شيئا من الطمأنينة لدى القيادة الروسية باستبعاد هذا الخيار، رغم أنه ذات القصور سبق وأن أبان عليه تمرد قوات فاغنر التي وصلت إلى مشارف موسكو في ساعات قليلة قبل سنة من الهجوم الأوكراني الحالي

استراتيجيا ورغم أنه بإجماع الخبراء فإن منطقة كورسيك ليست بالمنطقة ذات الثقل الاستراتيجي والعسكري لدى الروس فهي لا تحتوي على قواعد عسكرية خلفية للإمدادات العسكرية ولا تعد مركزا للصناعة العسكرية الروسية ولا غير ذلك، الأمر الذي يجعل من الصعوبة تحديد أهداف أوكرانيا وداعميها الغربيين من العملية غير تلك الرسائل المرتبطة بتحسين الوضع التفاوضي مستقبلا، وتخفيف الضغط على خطوط الدفاع الأوكراني عبر إجبار الروس على سحب جزء من قواتهم نحو كورسيك، وهما الهدفان الأكثر واقعية بالنظر لتطورات الأحداث ودلالاتها

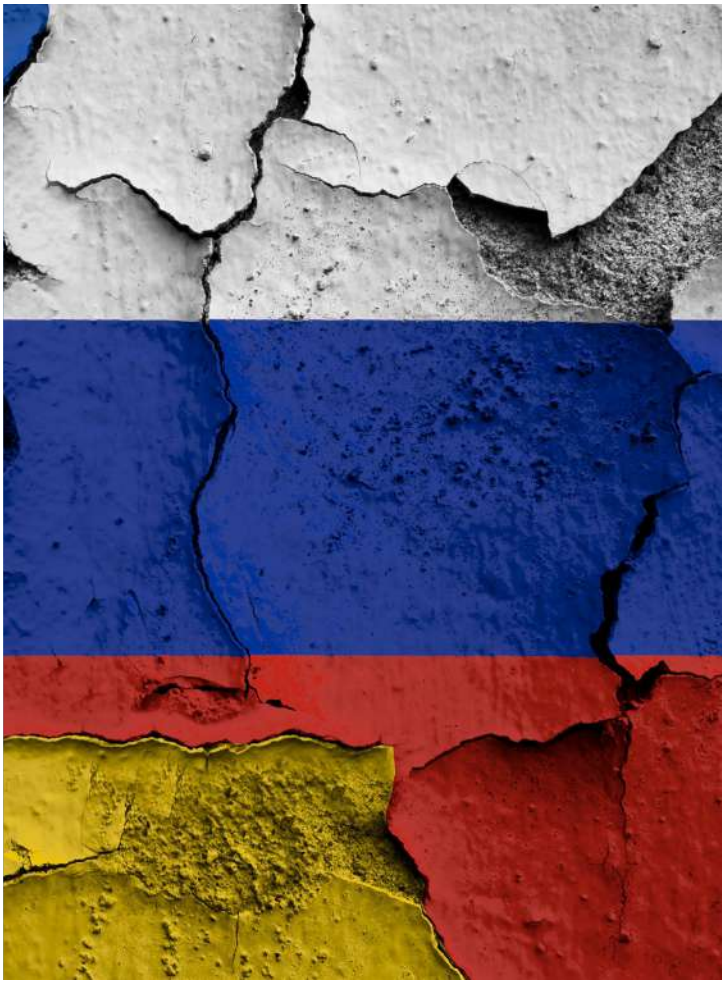

من الصعب التنبؤ بسيناريوهات رد الفعل الروسي سواء من ناحية الطبيعة أو الزمان أو المكان، لكن الأكيد أن روسيا التي كسر الغرب سابقا معظم ما وضعته من خطوط حمراء ستجد نفسها لدواعي إعادة الهيبة وحتمية توازن الردع أمام حتمية الرد وتغيير قواعد الاشتباك، وإلا فإن أوكرانيا تكون قد أقنعت الغرب بأن روسيا عاجزة عن كسر عتبة استخدام السلاح النووي أو على الأقل الرفع من نسق الحرب على نحو غير متوقع، وهو ما بدوره قد يشجع الغرب على زيادة حجم المساعدات كمًا ونوعًا انطلاقا من قناعته بالتردّد الروسي في تنفيذ تهديداته.

من الصعب التنبؤ بسيناريوهات رد الفعل الروسي سواء من ناحية الطبيعة أو الزمان أو المكان، لكن الأكيد أن روسيا ستجد نفسها لدواعي إعادة الهيبة أمام حتمية الرد، وإلا فإن أوكرانيا تكون قد أقنعت الغرب بأن روسيا عاجزة عن كسر عتبة استخدام السلاح النووي

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.grc.net